الفرع الرابع

تأهيل النبي ﷺ للدعاة

إن قيام الدعاة بواجبهم حيال الناس مرتبط بمدى استعداد الدعاة وتأهيلهم لذلك وكونهم قدوة لغيرهم من الناس؛ "لأن العامة من الناس ينظرون دائماً إلى العلماء على أنهم قدواتهم في تطبيق تعاليم هذا الدين، لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يكون قدوة لأصحابه في القول والعمل، فحينما يحدثهم عن القرآن الكريم والعمل به يكون أول متأثر وعامل به، وحينما يعلمهم أمور دينهم يكون أول مطبق لها، وحينما يربيهم على الأخلاق الفاضلة والصبر على الأذى، يرون فيه القدوة والتسلية لحالهم.

وهذا ما جعل أصحابه ﷺ يضحون بالغالي والنفيس في سبيل هذا الدين الجديد بعدما وجدوا معاني التربية الحقيقية للعقيدة الصحيحة في قدوتهم ومعلمهم محمد ﷺ.

فهذا مصعب بن عمير ﷺ [1] يضحي بالمال والجاه والشهرة والسيادة من أجل أن يكون فرداً في هذه الدعوة الجديدة؛ وهذا صهيب بن سنان الرومي ﷺ [2] يضرب المثل الأعلى في التضحية بماله ثابتاً على العقيدة الصحيحة التي دان بها عندما همَّ المشركون به وهو خارج إلى المدينة فعرض عليهم ماله مقابل إخلاء سبيله فوافقوا، وبذلك استعلى صهيب على جاهليتهم بدينه " وعندما رآه الرسول ﷺ مقبلاً هشّ له وبشّ وقال: (ربح البيع يا أبا يحيى، ربح البيع

---

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدارين قصي بن كلاب، السيد الشهيد السابق البدري القرشي العبدري قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير فقلنا له ما فعل رسول الله فقال: هو مكانه وأصحابه على أثري. آخى الرسول بينه وبين سعد بن أبي وقاص وآخى بين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري ويقول ذكوان بن عبد قيس: مات شهيدًا في أحد في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٤٥، وانظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣، ص١١٩.

(٢) صهيب بن سنان، أبو يحيى الرومي، أصله من النمر، يقال كان اسمه عبدالملك وصهيب لقب، صحابي شهير، مات بالمدينة سنة ٣٨ في خلافة علي ﷺ وقيل قبل ذلك. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٢٧٨ (رقم ٢٩٥٤).

وكررها ثلاثاً....) [1].

فأنزل الله فيه قرآناً يتلى؛ حيث قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [2].

وهو من النفر الذين أسلموا في دار الأرقم.

هـــذا جانب من نماذج تربية العقيدة التي رباها الرسول ﷺ في أصحابه فضحوا بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ عليها.

وهذا أبو بكر الصديق ﷺ يضربه عتبة بن ربيعة بنعلين مخصوفين على وجهه حتى غُشي عليه حينما كان يدعو الناس إلى الله ورسوله [3]، وبلال بن رباح ﷺ [4] يعذبه سيده أمية بن خلف فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة في الظهيرة ويضع الصخرة علـــى صدره ويُطاف به في شـــعاب مكة وهو يقـــــول: أحدٌ أحد [5] "وكذلك عمار بن ياسر[6] وأبواه وزوجه ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٨٩/٣ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه كما في حاشيته على فقه السيرة للغزالي ص ١٦٦ وقال: له شاهد من حديث صهيب ﷺ نفسه، ورواه أحمد في فضائل الصحابة ٨٢٨/٢ حديث رقم ١٥٠٩ مرسلاً ورجاله ثقات.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٧

(٣) البداية والنهاية – ابن كثير ٣٣/٣.

(٤) هـــو بـــلال بن رباح الحبشي ﷺ مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه وهو أول من أذن له في الإسلام أمه حمامة ومن الـــسابقين إلى الإســـلام، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه، فلزم النبي وشـــهد معه المشاهد وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، قال فيه النبي ﷺ: (رأيتني دخلت الجنة فإذا بالرميصاء امـــرأة أبي طلحـــة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟! فقال: هذا بلال) (البخاري ٣٦٧٩) خرج بلال مجاهدًا إلى أن مـــات بالشام سنة عشرين للهجرة وهو ابن بضع وستين سنة وقيل: مات سنة سبع أو ثماني عشرة للهجرة (انظر: ســـير أعـــلام النبلاء/ الذهبي ٣٤٧/١، والإصابة /ابن حجر ١٧٠/١، وتهذيب التهذيب/ ابن حجر ٥٠٢/١) – مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد – الهند – ١٣٢٥هـــ.

(٥) السيرة النبوية – ابن هشام ٣٩٢/١.

(٦) هـــو عمار بن ياسر ابن عامر، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين، والأعيان البدريين، وأمه هي سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابيات أيضًا. له عدة أحاديث وأول من أظهر إسلامه سبعة كان منهم عمار ﷺ عاش ثلاث وتـــسعين سنة، وتوفي في موقعة صفين سنة ٣٧هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤٠٦/١- ٤٢٦)، أسد الغابة/ عز الدين بن الأثير (١٣٩/٤- ١٤٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٢هـــ/ ١٩٩١م.

يعذبون من قبل المشركين ويمر عليهم الرسول ﷺ فيقول لهم: (أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة) [1].

"وهكـــذا يوضح الرسول ﷺ لأصحابه وللدعاة من بعده أن الفتن في هذه الطريق أمر طبيعـــي، بـــل هـــي سنة الدعوات من نوح عليه الصلاة والسلام إلى محمد ﷺ ولكن البعض يستعجلون.

لقد كان أسلوب الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه قدوة في كل شيء، كان يرسخ فيهم الإيمان بجميع أركانه، كان يعلمهم العبادة الصحيحة والأخلاق الفاضلة" [2].

إن المتأمل في جيل الصحابة رضي الله عنهم يدرك أن الرسول ﷺ رباهم فأحسن تربيتهم وأدبهم فأحـــسن تأديـــبهم، لقد مروا بتجارب قاسية تهتز لها الجبال الراسيات غير أنهم كانوا غاية في الـــشموخ والاســـتعلاء بدينهم وعقيدتهم فحملوا ألوية الجهاد والدعوة، وفهموا الإسلام فهماً واعـــياً، وعاشوا هموم الدعوة مع النبي ﷺ ومن بعده فنشروا دين الله وسلكوا منهج رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله على بصيرة.

"إنه لا بد من استقراء الخصائص والصفات والمعاني التي جعلت من جيل الصحابة خير القـــرون، والتي جعلت منه معياراً للأجيال ونموذجًا للإنجاز، لتوافر خصائص الخيرية وصفات العظمـــة فيهم؛ لينعكس ذلك على مناهجنا في التعليم والإعلام والتربية، وكل وسائل التشكيل الثقافي، وبذلك نتحول من الاقتصار على الفخر والاعتزاز، إلى مرحلة الإنجاز والتأسي العملي الـــذي يقود إلى تغيير الحال، أي لا بد من جدولة الخصائص والصفات التي بها كانت الخيرية، وذلك أن قول الرسول ﷺ (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم....) [3].

---

(١) انظـــر: المـــستدرك – الحـــاكم ٣٨٨/٣ من حديث جابر، وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني: حسن صحيح كما في حاشية فقه السيرة للغزالي ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الأســـلوب التـــربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر- خالد بن عبد الكريم الحياط ص ١٢٤-١٢٨ –ط١- ١٤١٢هـــ-١٩٩١م دار المجتمع للنشر والتوزيع – جدة- السعودية.

(٣) صـــحيح البخاري- كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور- حديث رقم ٢٦٥٢،٣٦٥١ ص ٥٠٢ مـــسلم- كـــتاب فضائل الصحابة – باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حديث رقم ٢٥٣٣ ص ١٠٢٣.

لا بد أن يستدعي الاستفهام الكبير، ما الخصائص والصفات التي بها كانت الخيرية وكيف يمكن تلمسها، والاقتراب ما أمكن من هذا الجيل الرباني، ليمتد الخلود للرسالة والإنتاج للجيل المأمول لما كان لأخبار الرسول ﷺ تطبيق في حياة المسلمين، خاصة وأن القرآن الكريم قدم الأنموذج ونصّ على بعض الخصائص والصفات التي استحق بها جيل الصحابة خيرية القرون جميعها؛ ولذلك كانت دراسة السير والمغازي وتعلمها كجانب عملي تطبيقي يعتبر موازياً ومكملاً لدراسة السورة من القرآن الكريم لتعلم العلم، وتعلم العمل جميعاً. إن للصحابة الكرام ﷺ موقعًا متميزًا في مسيرة الإنسانية بل في مسيرة النبوة وصحبها وركبها الممتد؛ فشأنهم ليس كشأن غيرهم لقد كانوا معجزة خالدة من معجزات الإسلام ومعياراً لكل جيل في كل زمان ومكان" [1].

فإذا ما أريد إعداد جيل من الدعاة إلى الله تعالى يستطيعون النهوض بمهام الدعوة ومجابهة العقبات التي تعترضهم فلا بد من استدعاء الخصائص والسمات التي كانت في جيل الصحابة والحرص على توافرها في الدعاة إلى الله تعالى حتى يتسنى لهم النجاح في دعوتهم.

إن الدعوة إلى الله تعالى مهمة عظمى تحتاج إلى تضافر الجهود لإخراج الناس -بإذن ربهم- من الظلمات إلى النور، ولذا اختار الله لحمل هذه الأمانة الجليلة من بلغوا منزلة الكمال البشرى خَلقْاً وخُلُقاً وهم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وشرَّف هذه الأمة بدعوتها الناس إلى دين الله اقتداءً برسول الله ﷺ بمقتضى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2].

تربية النبي ﷺ لأصحابه:

ربَّى رسول الله ﷺ أصحابه على تحمل أمانة الدعوة، والقيام بها أتم قيام، وكانت تربيته على أسس عامة لا تتغير على مر الأيام وتعاقب الأجيال، ذلك أنها لُب الإسلام وسبب بقائه على الأرض.

---

(١) انظر: في منهجية الاقتداء - عمر عبيد حسنة ص ٤١-٤٥ -ط١- ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م المكتب الإسلامي - بيروت- لبنان.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨.

يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

إن تربية الدعاة إلى الله على نحو رفيع وبقسط وافر من العلوم من كبرى الواجبات وأكد الفروض بل هو من أهم دعائم الأمة الإسلامية، والركيزة الأولى في هذا هو العلوم الشرعية، ومدارها على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولقد تربى على هذه العلوم الشرعية كثير من أئمة المسلمين ونبغوا فيها على امتداد التاريخ وكان لعلمهم وتعليمهم الأثر الحميد في فهم الإسلام وامتثال أحكامه عقيدة وشريعة"[3].

"إن التربية الروحية ضرورة لا غنى عنها في البناء بل لا يتصور أن يقوم بدونها عمل دعوي على الإطلاق إذا عنينا بالتربية الروحية تعميق الصلة بالله وترقيق القلب لعبادته وتذكير الإنسان باليوم الآخر.

وقد كان هذا جزءاً بارزاً وأساسياً من عمل الرسول ﷺ في تربية أصحابه رضي الله عنهم في مكة خاصة، حين فرض عليهم قيام الليل لتعميق هذه الصلة وتثبيتها وترسيخها، ولكن هذا كله كان إعداداً لأمر آخر ولم يكن هو في ذاته الغاية.

والمتأمل في سورة المزمل يتبين أنه مع الأمر بقيام الليل كانت هناك إشارة واضحة إلى تكاليف قادمة، جُعل قيام الليل توطئة لها وإعدادًا للقيام بها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝ إِنَّا سَنُلْقِى

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

(٢) سورة الجمعة الآية ٢.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله تعالى –د. عبد الرب نواب الدين آل نواب – ص ٤٨٣-٤٩٦ – ط١-١٤١٠هـ-١٩٩٠م دار القلم – دمشق – سوريا.

عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝﴾[1] .

كما يتبين المتأمل حكمة الله جل وعلا في اختيار قيـــام الليل ليكون أداة للتهيئة المطلوبة ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝﴾[2] .

أي أعمق أثراً في تهيئة النفوس لاحتمال التكاليف.

إنه لا بد من تعميق الصلة بالله سبحانه ليقوم الإنسان بحمل التكاليف التي يفرضها هذا الدين على الوجه الأكمل، وأخصها الجهاد، والصبر على الابتلاء.

إن هذا الدين شأنه عظيم، إنه المنهج الرباني لإصلاح الحياة كلها وإنشاء الإنسان الصالح الذي يقوم بالخلافة الراشدة في الأرض" [3].

"إن الله اصـــطفى للدعوة أفضل البشر وتعهدهم بالرعاية والصياغة والتنمية الشاملة منذ الصغر حتى غدوا أهلاً لما يلقى عليهم من إصلاح حال البشرية، ومن أهم ما تبنى به الشخصية الدعـــوية أن تكـــون قوية مؤثرة ذات إرادة وعزيمة ومضاء، حتى تكون شخصية قيادية، وهذا المفهوم الأخير هو حجر الزاوية؛ حيث إن الداعية لا بد أن تكون فيه الصفة القيادية ما استطاع ذلك، وهذا كله يمكن أن يكتسب بالمران والدربة.

إن أكثر ما يقوي الشخصية وينمي فيها العزة والعزم كسر الحاجز النفسي الذي يفرضه العدو القوي، ليحيط به نفسية الداعي، ويجعل شخصيته مهزوزة وهو أشبه ما يُسمى بالحرب النفـــسية في أيام الحرب لا سيما في عصرنا الحاضر عصر الإعلام الذي يمارس ذلك من أوسع أبوابه.

ولقد كان الرسول ﷺ يتعهد أصحابه؛ يسدد ويتمم كلما رأى خللاً سده وكلما رأى ضـــعفاً قـــوّاه، حتى أصبحوا أمة قوية فحملوا الدعوة شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، وطافوا بها

---

(١) سورة المزمل الآيات ١-٥.

(٢) سورة المزمل الآية ٦.

(٣) انظر: كيف ندعو الناس — محمد قطب ص ١٦٣-١٦٤ - ط١- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م دار الشروق- القاهرة — مصر.

أرجاء المعمورة، وعندما ولّى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه [1] قيادة جيش المسلمين وتململ بعض الناس من إمارته نظراً لصغر سنه الذي ربما جعله أقلّ كفاءة في نظرهم لقيادة جيش يحارب واحدة من القوى الكبرى في ذلك الوقت"[2] قال لهم رسول الله ﷺ:(إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)[3] .

"ولقد فعل الرسول ﷺ ذلك أمامه ليقوى شخصيته، ويعتد بإسلامه، وليعرف الآخرون أن الشخصية الإسلامية لا تقاس بالأعمار ولا بالأجسام بل بقوتها الإسلامية وعزتها بإيمانها وإسلامها، وهذا ما ظهر في شخصية ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما قال لقائد الروم وهامته تعلو في الثريا:"الله ابتعثنا لنخرج عباده من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" [4] [5] .

لقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على الاستعلاء بدينهم والاعتزاز بخالقهم وعدم الخضوع والانحناء إلا لله سبحانه، وقد صقلتهم التجارب، فكانوا يخرجون من كل تجربة أفضل مما دخلوا فيها، ولا شك أن الدعوة استفادت من تلك الخبرات وتلك الشخصيات العظيمة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو محمد وأبو زيد صحابي كان حب رسول الله – مات سنة ٥٤ هـ، وله ٧٥ سنة بالمدينة. انظر الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر ٢٩/١.

(٢) علم نفس الدعوة –د. محمد زين الهادي–ص ١٤٦–ط١–١٤١٥هـ–١٩٩٥م– الدار المصرية اللبنانية– القاهرة.

(٣) البخاري– كتاب فضائل الصحابة – باب (١٧) مناقب زيد بن حارثه رقم (٣٧٣٠) ومسلم كتاب فضائل الصحابة فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رقم (٢٤٢٦) ص ٩٨٦.

(٤) انظر: البداية والنهاية – ابن كثير ٣٩/٧ نشر مكتبة المعارف بيروت.

(٥) علم نفس الدعوة د. محمد زين الهادي – ص ١٤٦–١٤٩.